الهوية الشعرية بين الجاهلية والإسلام

-شعر المخضرمين أنموذجاً-

أ.م.د. شيماء ادريس آل داؤود م.د.فنن نديم آل ابليش

جامعة الموصل – كلية التربية للعلوم الإنسانية

تاريخ الاستلام تاريخ القبول

٢٠١٣/١/٢١ ٢٠١٣/٧/١٦

الملخص

الهوية تعني عادة جملة الخصائص التي يتميز بها وجود شخص أو جماعة ما. ومما لاشك فيه ان مفهوم الهوية اصبح ينطلق من مبدأ تمييز الانسان سواء أكان ذاتاً لها انفعالاتها أو تعاملاتها مع الاخر، ام كانت جماعة منسجمة أو متفقة في عناصر هي بمثابة الهوية كالزمان والمكان والوجدان والفكر والثقافة. ولما كانت الهوية شيئاً يدرك ويبنى بالتدريج ، فإنه من الواجب التمييز بين الهويات التي ينتمي إليها الفرد بين وقت واخر بسبب التطورات الفكرية والعقيدية التي يشهدها الانسان فتحول هويته إلى هوية جديدة نتيجة التزامه بهذه التطورات، أو ان يكون بعيداً عن هذه التطورات فيتمسك بهويته الاصلية.

ومما لا جدال فيه ان الادب يتأثر بهذه التطورات والتغيرات الفكرية، وهذا ما سيظهره البحث. إذ اعتمدنا في بحنا على اتجاهين ظهرا في شعر عصر صدر الإسلام ، الاتجاه الأول: الشعر الذي انصهر أصحابه في الهوية الجديدة (الهوية الإسلامية) وعبروا عنها بأشعارهم. اما الاتجاه الثاني: شعر الشعراء الذين اسلموا لكنهم لم يتشربوا الإسلام فلم يظهر تأثيره في نفوسهم ولا في اشعارهم ، بل بقيت قصائدهم بشكلها الجاهلي فكراً وتعبيراً.

مفهوم الهوية

تعد الهوية من المصطلحات المركزية التي اتخذت حيزاً متميزاً في الخطاب الثقافي العربي، بوصفها مفهوماً يسجل حضوره الدائم في مجالات متعددة، ولاسيما منها (الإنساني والاجتماعي والسياسي والديني) . وأي مصطلح مهما ابدى بساطة ظاهرة مفهومة ، الا انه يتضمن درجة معينة من الصعوبة والتعقيد، ومصطلح الهوية في مفهوماته المتعددة ودلالاته المتنوعة واصطلاحاته المختلفة يتضمن هذه الدرجة من الصعوبة والتعقيد والمشاكلة. ذلك بفعل المثيرات النفسية التي تلامس الأعماق الإنسانية فكراً وانتماءً وعقيدة، فضلاً عن الايحاءات الدلالية المتوافرة في الخطاب الادبي الذي يرسم في كل مرحلة منه الابعاد الفكرية، والافاق المعرفية للذات الإنسانية في مختلف تقلباتها الأيديولوجية والسياسية والعقائدية.

وتضم الهوية بين جناحيها ثنائية متناقضة لا تخلو من السلبيات والايجابيات الا وهي فكرة (حوار الحضارات، صراع الحضارات) التي تتوزع فيها وتتشظى عنها اتجاهات مختلفة منها الثقافي والديني والفني، ولا يخفى ان الجانب العقائدي والتطور الزمني والايديولوجي يجسد عصب ميدان الصراع، والتحدي الذي يواجه أي امة من الأمم مهما كانت معاييرها النظامية في سلوكياتها الفردية والجمعية، منذ العصور القديمة، وحتى ظهوره واستمراراً في الحاضر والمستقبل. فالهوية ليست كياناً يعطى دفعة واحدة والى الابد، انه حقيقة تولد وتنمو ، وتتكون وتتغاير، ...

وبما ان مفهوم الهوية يقوم في ابسط مكوناته على نسق من المعايير التي يعرف بها الفرد، نرى الانسان دائم البحث في ذاته يحدد علامات وجوده واساسيات وثوابت هويته.

لذا اصطدم بتحديات كبيرة على شتى المجالات مواجهاً حزمة من الثنائيات اللامتناهية، بوصفه أي (الانسان) جسداً وروحاً، وعقلاً وشهوة، ومادة ووعياً.. الخ من الثنائيات التي انطلق منها الادراك نفسه والوعي بذاته ووجوده.

وعليه سيحوي خطاب الهوية مخزوناً ثقافياً يجمع ما بين (الحضاري والفني والتاريخ) مما يدل على ضرورة وخطورة العامل الزمني والامتداد المكاني في (تفاقم واستيعاب) المشكلة التي تكمن في تحديد طبيعة الجدل لمفهوم الهوية الذي يربط الثنائيات اللامحدودة. وبما ان مفهوم الهوية يكافئ من حيث المبدأ الموجود الإنساني، نقول ان الانسان وحدة ، وهذه الوحدة تشكل منطلق الهوية والشعور بها. علماً ان النظام المعرفي الفردي والثقافي والاجتماعي يمثلون نواة الهوية، وعلى وفق هذه النواة التي تمثل النشاطات المعرفية في سياقها المتكامل، وادراك الاخر وتصنيفه إلى فئات ثقافية دالة تحدد مركزه الاجتماعي ودوره، نرى ان (الأنا) توجه فعالياتها من اجل ان تعرف ويعترف بها، وذلك يؤدي إلى تشكيل (انا مثالية) تسعى للتحقق والاكتشاف والتميز عن (الاخر)، وعملية الاكتشاف هذه تتم بشكل لا شعوري يرتبط بخاصية ادراك النفس لذاتها.

ان اكتشاف الانسان لذاته، وتحديد الاخر، صنع الاحداث التاريخية والحضارية والثقافية، يضعنا امام التجربة الإنسانية في مجالاتها كافة، والتي تنعكس في الخطاب الإبداعي (شعراً ونثراً). "فالنطاق المعرفي هو الحيز الذي يجول فيه الذهن، من خلال استجماع وسائل التعبير المتاحة، لتبرز دلالات الخطاب النهائي"[١]. فضلاً عن هذا وذاك يكون "الوعي الذاتي أو الانتماء العقائدي أو الأيديولوجي مكانه عادة في القيم (Value) التي تمثل المسبر والحافز نحو الفهم الاكثر ادراكاً وتفاعلاً مع الواقع"[٢] فأصبح الفرد الواعي المثقف يعمد إلى خطابه الإبداعي لتوظيف الوعي القائم على الجدل بين الأنا الشخصية بقيمها ومدركاتها والانا الثقافية الحضارية المتمثلة بـ(الاخر) . فوظف كل إمكاناته لانتاج المعرفة، وبناء الانساق الجدلية تبنياً لثقافة التبادل المعرفي إذ كان ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه شتى الاستراتيجيات التي بمقتضاها يأخذ كل شخص موقعه للدفاع عن حضوره ووجوده ويناقش حضور الاخر ازاءه.

مرجعيات الهوية

تتضمن الهوية مجموعة من السمات والعناصر التي تسمح لنا بتجديد موضوع مصير أو اكتشاف الأسس التي تقوم عليها انتماءات الافراد. وهذه السمات والعناصر في اغلبها مفاهيم تنطلق من التجربة المعاشة؛ ومن نسق التصورات والانماط السلوكية المتنوعة، والتي تعد إشارات تتضمن دلالات مختلفة لمضامين ثقافية متنوعة.

وعليه تعود الهوية في ادق دلالاتها إلى الضمير (هو) المركب من تكرار هذا الضمير وتعريفه بـ(أل) ليكون معناه "الاتحاد بالذات"[٣] الذي يشير إلى ما يكون به الشيء (هو هو) أي من حي تكونه وتحققه في ذاته، وتميزه عن غيره، فهو وعاء الضمير الجمعي لأي تكتل بشري، ومحتوى هذا الضمير يضم القيم والعادات والمقومات التي تكون الوعي الجماعي[٤] والذاتي في آن معاً، فالذات هي ما يسميه الفلاسفة بالهوية، وهي كل ما يشكل شخصية الانسان وحاجاته الداخلية والخارجية، والقيم والآراء والمواقف والسلوكيات، الثابتة والمختلفة نسبياً التي تميز كل فرد عن غيره من الناس.

والهوية الشخصية أو الذات حسب رأي (اريكسون) تمثل الوعي الذاتي المهم بالنسبة للاستمرارية الأيديولوجية ؛ وفلسفة الحياة التي يمكن ان توجه الفرد ، وتساعده في الاختيار بين الإمكانيات المتعددة التي توجه سلوكه الشخصي[٥] لذا يجب عدم اهمال الجانب الاجتماعي في اطار أي نظرية تدور حول (الأنا) ومقوماتها ومرجعياتها الثقافية والفكرية والنفسية.. الخ؛ لأن الهوية إذا كانت تمتلك وجه سيكولوجي داخلي، فإن هنالك وجه اخر هو اجتماعي خارجي[٦] فيوازن خطاب الهوية بين كل المشاهد المتداخلة والمتناقضة في الفكر الإنساني الفردي والجمعي والمنظومة الوجدانية والقيمية الإنسانية.

مكونات الهوية الانسانية

تؤسس الهوية الإنسانية دعامات وجودها عبر شبكة من العلائق ، يتواشج فيها الزمني والمكاني والثقافي والمخزون الذاكراتي، لذلك نقول ان الهوية الإنسانية هي[٧]:

١- مجال جغرافي ووطن تاريخي مشترك.

٢- اساطير وذاكرة تاريخية مشتركة.

٣- ثقافة شعبية مشتركة.

٤- اقتصاد مشترك مرتبط بمناطق معينة.

وحسب هذا وذاك من قول نرى ان (الأنا) مرتبط بالثقافة من حيث كونه هوية لها قيم ذاتية خاصة تعبر عن طبيعة تفكيره، والعلائق والمرجعيات والمكونات والخصائص المشتركة في امة من الأمم. فكانت (الأنا) حسب المفهوم الديكارتي "جوهر التفكير مقابل الجوهر الممتد وخاصيته الامتداد"[٨] متوجهة نحو الاخر لتحقيق الهوية الجامعية وفكرها المتحقق ضمن تاريخها الثقافي والحضاري. وعليه يكون الاخر "ذلك الشخص الذي كان الحلم به أو تخيله سابقين على اكتشافه"[٩] وتبعاً لذلك تتشكل الهوية من حيث كونها علاقة تجمع الذات والأخر إذ لا تتحدد الانا بذاتها الا إذا تمددت علاقتها بالاخر فتأتي الهوية لتشكل الحالة الأكثر قابلية للتغيير المفهومي من الداخل"[١٠] . تتجه نحو تشكيل بنى من المفاهيم ، وتكوين منظومة من المرجعيات والموجهات الارسالية التي تقدم فرصة اكبر للتخاطب ، والتحاور عبر متواليات عدة ملموسة ولها صداها وقدرتها على تشكيل وعي ادراكي جديد حول ظواهر معينة، أو توليد أفكار مختلفة حول قضية خاصة أو عامة.

الهوية والتواصل الثقافي (القبيلة/ الدولة)

ان المتغيرات الجذرية في الفكر الإنساني لها تأثيرها المباشر على توجهات الفرد، وآلية تواصله مع ذاته والاخرين في عالم مليء بالانقلابات المنظومية، والفكرية، والسياسية، والدينية، التي كان لها صداها وحضورها الفاعل في علاقات التواصل واللاتواصل بين المؤسسة القبلية، وسلطة الدولة في عصر صدر الإسلام، والعربي بوصفه الذات المثقفة الواعية بذاتها ووجودها ودورها وهويتها (الإبداعية) والمتأثرة قلباً وقالباً بكل ما يجري حولها من ثوابت ومتغيرات.

والاشكالية في هذا وذاك تتحدد في طبيعة الارتباط بمحددات عدة موغلة بجذورها في أعماق الوعي العربي وبناه وانساقه، حتى باتت اهم واقوى السمات والخصائص التي تميزه، وتجعل منه وعياً وفكراً عن "فرادة في الوعي الجمعي الإنساني ومشغلاته الفكرية، انها القطبية الحاضرة من دون غياب منذ فاعلية جدليات العقل والنقل في الفكر التأسيسي الذي طبع الشخصية العربية"[١١]. هذا لا يعني الازدواجية في الشخصية ، بل متغيرات مؤثرة

فرضتها بنى وانساق التحولات الزمنية على الوعي الثابت والمتجذر في الوعي العربي قبل الإسلام، فعندما جاء الإسلام قدم هذا التحول المباشر والجذري في تجربة الدولة والدستور ، ونبذ الأصل (القبلي والعقائدي) وتهميش انموذج العصبية القبلية وسلطتها على الدين، والافراد، والادب، فتحول الوعي القبلي إلى نظام الجماعة والأمة. غير ان الدين الجديد أحاط وبشكل تام وشامل بكل العوامل المسيطرة على الصراع، بفعالية فكرية ودينية وادبية وتاريخية رسخت وجود الهوية الإسلامية الدائم وشرعيتها الاصلية في تفعيل دور الانسان في الواقع انطلاقاً من الوعي العربي الإسلامي بأهمية دور الفرد والمجتمع معاً في تحديد الهوية وتشكيل اتجاهاتها الفكرية والثقافية والسياسية والدينية.

وليس خفياً على احد تأثير الإسلام في الجانب الادبي (الشعر، النثر) حيث انقسام الشعراء على فئة تبنت الدعوة الجديدة بكل ما تمتلك من حسٍ فني وابداعي لنصرة الدين أمثال (حسان، كعب، عبدالله بن رواحة) ومنهم من اتخذ موقف الحيادية إزاء الدين علماً انه مسلم إذ بقي محافظاً على روح القصيدة الجاهلية شكلاً ومعنى وخلت قصائدهم من القيم والمثل الجديدة الثابت والمتغير، والتواصل واللاتواصل، الوعي القبلي والوعي الإسلامي وروحيهما، الادب المتأثر بالقيم والتعاليم الجديدة والادب المحافظ على الهوية الجاهلية الإبداعية والفكرية والنفسية . لذا اخترنا ان ندرس هاتين الفئتين بوصفهما نسقين متغايرين ابداعياً في الشكل والمعنى ، وهما من الشعراء المخضرمين.

الهوية الجاهلية وفضاء اللاتواصل في المتن النصي

يتشكل فضاء الهوية الجاهلية في المتن الشعري عبر وعي ابداعي عاصر الإسلام، لكنه لم يتشرب تجلياته الدينية الجديدة، فنرى اشعار هذه الفئة خالية من المعاني والقيم الإسلامية شكلاً ومضموناً الا بعض الومضات الضئيلة التي تعبر عن الانتماء للاسلام فقط، وليس التأثر به روحاً وهوية إبداعية.

كان شعراء هذه الفئة اغلبهم من البادية الذين وفدوا على رسول الله ﷺ بعد الفتح وابانه.

فحميد بن ثور الهلالي شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وقضى الشطر الأكبر من حياته في الإسلام، إذ ادرك زمن عمر بن الخطاب وتوفي على الأرجح في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه[١٢].

وفي قراءة لنصه الشعري نقول ان حميد شاعر واسع الخيال ، قوي الملاحظة، دقيق الوصف متسقه. وعلى الرغم من دخوله الإسلام الا انه ينهل من مرجعية فنية قافية جاهلية تفضي إلى خزين من القيم والسلوكيات والتقاليد والعادات القبلية وعلى وفق رؤية تعود إلى الموضوعات والروح الجماعية التي تتمسك بالعصبية القبلية، ولاسيما ونحن نقرأ صوره ومعانيه

في مسألة الثأر في قوله[١٣]:

أحـــاولتمو كيمـــا تطلـــو دماءنـــا وان تغفلـــوا فـــالله لـــيس بغافـــلِ[١٤]

ومـــا زال كـــرّ الخيـــل حتـــى أقـــادكم مغلغلـــة أعنـــاقكم فـــي السلاســـلِ

مشـــينا فســـوينا القُبـــور فأصـــبحت لهـــا حـــاجزٌ عـــن نســـلها المتفاضـــلِ[١٥]

وهـــل ســـبقتنا قـــبلكم مـــن قبيلـــة بـــوتر فتقتاســـوا بإحـــدى القبائـــلِ[١٦]

تتجلى سيرة الماضي في الابيات السابقة تجلياً واضحاً مرتبطاً بضمير الجماعة (هم، نحن) مؤكداً فيها الشاعر على ترابط ثنائية (الأنا/ الآخر) بنى وانساقاً ودلالات، حين اصبح صوت الشاعر شهادة على المشهد القيمي والقبلي السابق للاسلام بوصفه الحال الشعرية والرؤيوية التي تسرد جانباً من جوانب العصبية القبلية.

وبين (الأنا/ النحن) يتردد صوت الجماعة ورؤيتها من خلال الضمائر التي تحيل على هذه الثنائية (تطلوا، مشينا، سوّينا... الخ) في وعي كامل يتبنى خطاب المؤسسة القيمية القبلية وصولاً إلى القبول والعمل بها ايضاً، مدفوعاً بواقع العلاقات التي تربط الفرد بالجماعة.

وظف الشاعر الأفعال الماضية لتجسيد حدث الانتماء إلى صوت القبلية (مشينا، سوينا، سبقتنا...) وهي أفعال صريحة بإشاراتها للغائب الحاضر المتجسد في الابداع الشعري. اما الحدث الشعري في الحاضر، فهو مستمر باستمرارية الحالة الشعرية، ويفعل الشاعر هذه الاستمرارية باسناد الأفعال المضارعة إلى الاخر (تفعلوا، تقتاسوا) . فربط في هذه الثنائية بين (الفرد والجماعة ، الانا والأخر) لتعبر الذات عن انتماءاتها وهويتها.

ونرى الشاعر في موضع اخر معترضاً على القرارات الإسلامية في ثورة مبطنة داخلية غير معلنة ، فيقول[١٧]:

تجـــرّم اهلونـــا لأن كنـــت مشـــعراً جُنونـــاً بهـــا يـــا طـــول هـــذا التجـــرّم

ومـــالي مـــن ذنـــب الـــيهم علمتـــه سـوى انني قـد قلـت يـا سـرحة اسـلمي

بلـى فاسـلمي ثـم اسـلمي ثمّـت اسـلمي ثـــلاث تحيـــات وإن لـــم تكلّمـــي

يشتغل المقطع على تجسيد فكرة الرفض المبطن لقرارات إسلامية فرضها الدين الجديد حسب رؤية الشاعر، الذي عمد إلى قول ابياته هذه عندما حظر ذكر النساء في الشعر.

فالاعتراض تجسده سلسلة من الرموز والايحاءات والدلالات الحالية غير المباشرة العاملة داخل النص تصر على الالتزام بالقيم والموضوعات والمكنونات الشكلية والمضمونية للقصيدة الجاهلية والفكرة القبلية التي هي هويته، لذلك لم يصرح برفضه بل أورد الصورة التي يريد بأنه كنى عن المرأة بـ(السرحة) بوصفها بديلاً رمزياً لها ذلك ان الشعراء تعارفوا في عصر ما قبل الإسلام بالاشارة به عن النساء مما يدل على رفض الجديد في الدين الجديد والاكتفاء بالقبيلة وماضيها الإبداعي والفكري الأصيل حسب نظرة الشاعر الذي كان ذكياً في إخفاء مشاعره الحقيقية تجاه الجديد الذي قوض القديم وقلبه جذرياً . والتمسك بهذه الهوية يتضح في تكرار مفردة (اسلمي) عدة مرات التي تستجيب لمنطق المغايرة وتتداخل مع فضاءاتها الدلالية التي تبوح ضمناً بالصورة والقيم التي تريد لا المفروضة عليها.

فالقبلية بأشكالها وتلويناتها الفكرية الثابتة في الفكر العربي تتجلى عبر خطاب اخر تحاصره قيم والفاظ ومعاني وروح إسلامية مغايرة للجاهلية، متمثلاً بشعر (متمم بن نويرة) الذي يمثل فئة الشعراء الذين لم يترك الإسلام صدى في اشعارهم فاستمروا يحاكون الشعر الجاهلي في قيمه وافكاره وقضاياه، فكان شعره جاهلياً بحتاً لم تؤثر فيه المتغيرات الدينية وسلطة الدولة الجديدة بعيداً عن القبيلة وعصبياتها.

كان متمم فارساً شجاعاً مدافعا عن قبيلته، مشاركاً في أيامها، اما حياته في الإسلام فقد اتسمت بطابع الحزن والاسى، إذ لا هم لديه الا بكاءه المستمر على أخيه. ولم تذكر المصادر العربية اشتراكه في الفتوحات الاسلامية مع ما عرف به من حسن الاسلام وتقواه[١٨]. واشهر اشعاره التي جاءت في مراثيه لأخيه مالك التي اعجب بها النقاد والرواة[١٩]. إذ كانت تحمل الروح الجاهلية القائمة على طلب الثأر فيقول[٢٠]:

أبلـــغ أبـــا قـــيس إذا مـــا لقيتـــه نعامـــــةُ ادنـــــى دارهُ فظلـــــيمُ

بأنـــــا ذوو حـــــد وإن قبـــــيلكُمُ بنـــي خالـــد لـــو تعلمـــون كـــريمُ

وإن الـــذي آلـــى لكـــم فـــي بيـــوتكُم بمقســـمه لـــــو تعلمـــــون أثـــيمُ

هـــو الفـــاجع المُنكـــي ســـراة صـــديقه وذو طلـــبٍ يـــوم اللّقـــاء غشـــومُ[٢١]

فـــــنهجم ابياتـــــاً ونبكـــــي نُســـــيةً بنســـــوتنا يومـــــاً لهـــــنَّ نحـــــيمُ[٢٢]

كـــان بجيـــراً لـــم يقـــل لـــي مـــا تـــرى مـــن الامـــر أو ينظـــر بوجـــه قســـيمُ

ولـــو شـــئت نجّـــاك الكميـــت ولـــم يكـــن كأنـــــك نصـــــب للرجـــــال رجـــــيمُ

ولكـــــن رأت المـــــوت ادرك تبعـــــاً ومـــــن بعـــــده مـــــن حـــــادث وقـــــديمُ

فيـــا لعبيـــدٍ خلقـــة ان خيـــركم بجـــرزة بـــين الاعشـــين مقـــيم

عـــذرتم ولـــم تربـــع عليـــه ركـــابكم كـــأنكم لـــم تفجعـــوا بعظـــيم

وكنـــت كـــذات البـــوِّ ريعـــت فرجعـــت وهـــل ينفعهـــا نظـــرة وشـــميمُ

اطافـــت فســـاقت ثـــم عـــادت فرجعـــت ألا لـــيس عنهـــا ســـجرها بصـــريم

صوت القبيلة بادٍ بوضوح في النص، ذلك ان صوت الثأر يعلو فوق كل المشاعر والأمور التي يدعو إليها الإسلام، مما يدل على طغيان صوت(النحن) المتداخل مع (الأنا) في ظل الدولة الجديدة التي لم تخرج لشاعر من صوت القبيلة، وقوة اعرافها وقيمها المتأصلة فيه.

التهديد والتوعد المتعالية في النص، والتي بدأت بذكر كنية الاخر المعادي مباشرة (أبا قيس) لأن المواجهة الحقيقية بين الذات ترنو إلى الخلف مرتدة إلى ماضيها، والعالم الذي يشفي جراحات النفس بقيمه وعاداته التي ترسخت في مخيلة الشاعر وتشبعت بها روحه.

ان الأسلوب الحواري الأحادي الطرف الذي اعتمده الشاعر يؤكد على الدلالة المتنكرة للاخر بفعل التهديد وسوء التواصل في كل مشاهد الحدث داخل بنى وانساق النص. لاسيما المتعلقة بالثأر (السبي والقتل) "يعكس بذلك الهاجس الانفعالي لديه، ويعكس الدلالة التي يلح عليها وتأخذ اهتمامه"[٢٣]. ونراه يقول في رثاء مالك ايضاً[٢٤]:

لعمـــري ومـــا دهـــري بتـــأبين هالـــك ولا جـــزع ممـــا أصـــاب فأوجعـــا

لقـــد كفـــن المنهـــال تحـــت ردائـــه فتـــىً غيـــر مبطـــان العشـــيات اروعـــا

ولا برمـــا تهـــدي النســـاء لعرســـه إذا القشـــع مـــن بـــرد الشـــتاء تقعقعـــا

لبيـــب اعـــان اللـــب منـــه ســـماحة خصـــيب إذا مـــا راكـــب الجّـــدب اوضـــعا

تـــراه كصـــدر الســـيف يهتـــز للنـــدى إذا لـــم تجـــد عنـــد امـــرئ الســـوء مطمعـــا

ويومـــاً إذا مـــا كظـــك الخصـــم ان يكـــن نصـــيرك مـــنهم ولا تكـــن انـــت أضـــيعا

للوعي القبلي حضور فاعل في النص متمثلاً بالألفاظ التي تحيل الانا المتواصل مع النحن، المنقطع فكرا ورؤية عن الاخر المغاير فكراً ومعتقداً، على الرغم من اسلام الشاعر.

وتعمل اللوحة التصويرية لشخص المرثي (مالك) على الكشف عن تاريخ قيمي وقبلي متأصل، وعن قدرة شعرية متميزة، وثروة دلالية اكتنز عليها الخطاب الشعري للشاعر،

فضلاً عن إحساس عميق بالاخر الفرد والنحن وواجب (الانا) تجاههما قولاً وفعلاً، انطلاقاً من طاقات النص ذات القابلية الفاعلة على ابداع حاجات الشاعر، وتفجير طاقاته الداخلية والكشف عن مضمراته وتوجهاته ورؤاه.

جمع النص بين الأسماء والافعال والحروف في تواز دلالي متميز لاخفاء قيمة صوتية فنية وايقاعية وجدانية تبرز حدة الانفعال الداخلي للشاعر، الذي يرثي اخاه بالمعاني الإسلامية والمفاهيم الدينية الجديدة، بل نراه اسهب في وصف محامده وصفاته الحميدة التي تعلي من مكانته بين قومه، فتعلو نبرة الاسى على موته، وهذا حال الرثاء الجاهلي، لوحة فنية رائعة مفعمة بالقيم الإنسانية النبيلة لكنه مليء ايضاً بالحزن والاسى والتفجع على المرثي وكأنها نهاية العالم.

اوجد الشاعر لنفسه عالمه الخاص (عالم القصيدة الشعرية) الذي يعد "تجسيداً لمواجهة الانسان للزمن والموت بتجلياتهما المتعددة في سياق حضاري تطغى فيه رؤية ضدية للوجود الإنساني، والبنية بهذا التصور وجود دال، بل انها الحامل النهائي للدلالة"[٢٥].

اذن يلعب الخطاب الشعري في كل موضوعاته تقريباً – التي يدخل بها إلى انساقه الدلالية بألفاظه ومعانيه– لعبة (اللاتواصل المضمر) في محاولة لتوجيه الفعل الشعري في كل دلالاته إلى التواصل مع عالمه الخاص في الوعي القبلي الجاهلي.

إن رؤية من هذا القبيل نلمح صداها بوضوح في شعر مخضرم اخر تمسك بعالم قصيدة ما قبل الإسلام شكلاً ومضموناً ، الا وهو (تميم بن مقبل). لم نشهد له حادثة كبيرة في الاسلام غيرت حياته، لأنه عاش عمره في البادية. ولكن الحدث الأكبر الذي اصطدم به عالمه الإنساني والشعري هو التحول من الجاهلية (الولاء للقبيلة) إلى الإسلام (نظام الدولة).

وليس لدينا دليل على اشتراكه في الاحداث السياسية الكبيرة التي حدثت آنذاك ، الا ما كان من شعره في مقتل الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ)[٢٦]. فقد رثاه بقصيدة وهي ثاني مرثية في ديوانه فيقول[٢٧]:

عفا بطحان من قريش فيثرب فملقى الرحال من منى فالمحصبُ

فعسفان ، الا ان كل ثنية بعسفان يأويها مع الليل مقتبُ[٢٨]

فنعف وداع فالصفاح فمكة فليس بها الا دماء ومحربُ

ألهفي على القوم الذين تحملوا مع ابن كريز في النفير فأوعبوا[٢٩]

ولهفي لخلات عرضن عليهم كأن حلوم الشاهديهن غيبُ

خلال تأباها الأريب ولم يكن ليبصر ما فيهن الا المهذبُ

ليبك بنو عثمان، ما دام جذمهم عليه، بأصلال تعرّى وتخشبُ[٣٠]

ليبكوا على خير البرية كلها تخونه ريب من الدهر معطبُ

تواكله الاقتال : باغ وخاذل بعيد، وذو قربى حسود مؤلَّبُ

فغودر مقتولاً بغير جريرة الا حبذا ذاك القتيل الملحَّبُ

قتيل سعيد مؤمن شقيت به نفوس اعاديه، شهيد مطيَّبُ

نعاء عرى الإسلام والعدل بعده نعاء! لقد نابت على الناس نُوَّبُ

نعاء ابن عثمان الامام لمجتد إذا البرق للراجي سنا البرق خُلَّبُ

نعاء لفضل الحلم والنَّدى ومأوى اليتامى الغُبر عاموا واجدبوا

يحاول النص في مقدمته اعلان العفوية واضمار القصدية، من خلال المقدمة التي اتت على غير سنة الشعراء في دلالاتها التقليدية ، لانها ليس لذات الطلل، ولا لبيان تأثير فعل الزمن في المكان والاشياء من اندارس الديار، بل نرى فيها ذكر لتعفي أناس هذا الطلل (قريش). فركز في نصه على نسق مرآوي عاكس لفعل التغيير متمثلاً بالفعل (عفا) لادراكه ووعيه بدلالة هذا الفعل، ولعله أراد ان يصيب هدفاً سياسياً" فالشاعر وهو يؤطر المكان يريد ان يضفي عليه قانونية الأشياء... أي يضفي عليه الوقائعية والشخوص ويبعد عنه شبح التخيل"[٣١] فيحقق مفارقة بين الفعل (عفا) والمكان المتعدد ، والأخر المتداخل بين الجمعية (قريش) والفردية ذات الصفة والحضور الجماعي (ابن عفان) ، خارج السياق المرآوي لزمنية الفعل المتحقق بعلاقة حسية مرئية (البصر) بين الرائي والمرئي، لذا فقد جاء هذا النص "تعبيراً عن إحساس صاحبه بالاغتراب الاجتماعي"[٣٢] أي الابتعاد النفسي عن المجتمع الإسلامي (الهوية الاسلامية والعودة إلى الزمن الماضي (الهوية الجاهلية). وهذا كله يعد وحدة مشهدية سردية للذات والأخر والمكان تعتمد السمة التقليدية، والروح القبلية في تعداد الصفات والمحامد والتأكيد على تأثير (الدهر) المستمر في متعدد الأمكنة واختلاف الأزمنة. ولنا ان نلمح إلى أسلوب التكرار الوارد في النص، والذي يؤكد من خلاله الشاعر على القيم التي انطلقت منها رؤيته الأساسية لتكوينه النفسي والاجتماعي والابداعي بالتوجه نحو القبلية (لبيك بنو عثمان) وشروطها (الثأر) عبر مفردة (الاصلال) ليعيد نفسه عضواً اصيلاً في بنيته الشخصية والقبيلة العربية.

عمد الشاعر إلى جعل العلاقة بين الماضي والحاضر والمتقبل والمستقبل تواصلية مع تغليب الروح القبلية لذا نراه يعمد إلى تكرار الالفاظ التي تثير المتلقي وتحفزه لهذا المصاب الجلل (الهفي، نعاء، ليبكي...)، فضلاً عن الاعتماد على الأفعال المضارعة العاملة على امتداد الحدث الشعري "فالمضارع لا يميل على الحال والاستقبال فقط، بل يميل على إحساس نفسي يمتد في ماضي الشاعر على المستوى النفسي، وليست وليد لحظة النظم والانشاد، انه سابق علها.. أي انه يريد ان يمنح المعنى استمرارية في كل الأزمنة، وجوازاً غير قابل للتبديل"[٣٣] هذا ما يبرر موقفه تجاه الاخر وكل متغيرات العصر، تجاه تمسكه التام بأعراف وتقاليد ونظم القبلية، لأنه جزء من الضمير الجمعي والذي يميل إلى الهوية الجماعية.

فاعلية الهوية الشعرية الإسلامية في المتن النصي:

حفل الدين الإسلامي بمناصرين كثر قدموا لحل ما باستطاعتهم لنصرته في كل مراحله وتوجهاته ومبادئه؛ لترسيخ دعائم الامة الإسلامية في ظل دولة دستورية تتنامى خارج عهد الجاهلية والوثنية، لتكون لها مبادئها وقوانينها الأكثر عمقاً واتساعاً ومرونة.

وبما ان الانسان فرد وجماعة كان الأساس الذي قامت عليه مبادئ الامة، لتوسيع دائرة الاهتمام به وبقدراته وامكاناته من قبل الدين والسلطة القائمة عليه، فكانت له (الانسان) حقوقه وواجباته وقيمته ووجوده التي رفعت من شأنه وميزته عن ما هو ادنى منه، ليكون هو القيمة العليا في الوجود فكراً ووجداناً وإنسانية.

لم يكتف الدين الإسلامي بهذه القيمة، بل تعداها ان حمل الانسان لواء الدفاع عن الإسلام ونصرة النبي الأمين ضد اعدائه، ومناوئيه في كل مكان ولاسيما في قريش التي تصدى لها سيف الكلمة ولسان الحق على الباطل على يد (حسان بن ثابت، كعب بن مالك، عبدالله بن رواحة) شعراء الرسول والدعوة الإسلامية.

ناصر هؤلاء الشعراء الإسلام بكل ما ملكت إيمانهم، ولاسيما قوة الكلمة التي لا تنفك الفاظها ومعانيها وصورها المختلفة، ان تكشف مساوئ المجتمع القبلي بمختلف مستوياته. فاستخدموا في نصوهم المعادلة الفارقة بين (الحق، الباطل) والمواجهة بالوان الالفاظ؛ والمعاني التقليدية المتعلقة بـ(الايام والمثالب والكفر) بشكل مباشر، فتحرك صوت الشاعر الإسلامي تحركاً ديناميكياً لا محدوداً فتمظهر عن نصوص ذات تشكيلات متعددة تعبر عن أفكار ورؤى وقيم قدمت حالات متناقضة بين (نور الإسلام وظلمة الكفر) وطبيعة العلاقة بين (الانا والأخر) في ظل المواجهة العلنية بالسيف والكلمة.

وكان من بين هذه الأصوات التي تواصلت فكراً وروحاً وابداعاً مع الدين الجديد وتشربت تعاليمه وآمنت به، هو حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ ، الذي رفع راية الدفاع عن الإسلام ورسوله ضد المشركين فذب عن اعراض المسلمين ضد هجاء قريش اول الدعوة الإسلامية.

نال حسان عناية الدارسين فقيل "فضل حسان الشعراء بثلاث كان شاعر الانصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام"[٣٤]، فنراه ملتزماً بكل ابعاد قضيته ضد الكفار إذ يقول[٣٥]:

لقد لعن الرحمن جمعاً يقودهم دعيُّ بني شجعٍ لحرب محمدِ

مشوم لعينٌ كان قدماً مبغضاً يبيِّن فيه اللوم من كان يهتدي

فدلاهم في الغي حتى تهافتوا وكان مضلاً امره غير مرشدِ

فأنزل ربي للنبي جُنُوده وأيَّده بالنصر في كل مشهدِ

وإن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلدِ

يميل النص إلى ان انا الشاعر تنفرد بهوية خاصة وهدف معين، ولا تمثل النقيض (للنحن) بل النسق المكمل لسياق وجود الشخصية الإسلامية في الامة وهويتها. لأن "الشاعر من غير ان يعي كل الوعي يمتزج عالمه الظاهري وعالمه الباطني في لحظة شعورية وأخرى لا شعورية"[٣٦]. فيكون خطابه عملية فضح لسلوكيات ونظام واعراف المؤسسة القبلية من الداخل بشكل مباشر، أي انه لا يحتمي بالنقد والهجاء المبطن المضمر، بل متسلح بنور الحق والاستجابة لنداء الإسلام بقوة الكلمة ، فاذا بالشاعر يجهز على دراما لداخل والخارج الجاهلي بفعل الفاظه الفاعلة ذات الدلالات المتحركة في كل الاتجاهات مكتسحة كل ما يواجهها من عتمة وكفر، فأفقد الاخر المعادي (الكفار من قريش) كل امكاناتهم الوجودية ومقومات نظامهم القبلي فالأفعال (لَعَنَ، أنَزلَ، تَهَافتوا، أيَّده) تحيل إلى معاني توقع في نفس المتلقي (المشركين) الخوف والرعب ليعمل على زعزعة الثقة لديهم، فهي حرب نفسية قائمة على سوء عاقبة المشركين مقابل حسن عقبى المسلمين. واعلن في كل مواجهة انه القوة الحاضرة بكامل ثقلها وافكارها وانتمائها والتي تتضح في تاريخ المواجهة الإبداعية بين (الايمان والكفر) لبناء مجدها الشعري كونها بنية ورؤى لصورة شعرية توحدت بالأمة الإسلامية والدين والعقيدة الجديدة اكثر من اتحادها بإبداعها وانتمائها اليه، الا مكان مخصوصاً بمرحلة اثبات الهوية الإسلامية فيقول حسان هاجياً[٣٧]:

لقد علمتْ قريشٌ يوم بدر غداة الأسر والقتل الشَّديدِ

بأنا حين تشتجر العَوَالي حماة الرّوع يوم أبى الوليدِ

قتلنا ابني ربيعةَ يوم ساروا الينا في مُضاعفة الحديدِ

وولّـــت عنـــد ذاك جمـــوع فَهـــر وأســـلمها الحُـــويرثُ مـــن بعيـــدِ

لقـــــد لاقيـــــتم خزيـــــاً وذلاً جهيـــزاً باقيـــاً تحـــت الوريـــدِ

وكـــان القـــوم قـــد ولـــوا جميعـــاً ولـــم يلـــووا علـــى الحســـب التليـــدِ

سيستمر الحس الديني –في كل الحدث داخل النص – بالتقديم والنمو المتواصل الذي يقدم الصورة الهجائية داخل لوحة تتداخل فيها الروح الإسلامية، وتتباين مع الصورة والروح الجاهلية ، تمثلها دقة المعاني والالفاظ ودلالتها الممعنة في الوصف البارع لحال الطرف المعادي (قريش) وبطونها (يوم بدر) والمتمثلة بـ(الوليد، ابني ربيعة، فهر، الحويرث) لقوله (قد ولوا جميعاً) على النحو الذي يدل على احتراف التصوير وتقانة آلية التشكيل وطاقة الشعر التي صورت الآخر وقد لاقى (خزياً وذلاً) والانا الإسلامية بروحها الجماعية هم (حماة الروع) فجاء الوصف محورياً تنمو احداثه ودلالاته بتنامي ابعاد الحدث المركزي في النص.

استكمل حسان مقومات فعله الإبداعي داخل بناء سردي لقصة (الجاهلية والإسلام) في فضاء النص الشعري لمواجهة الاخر بما يفضح كل إمكاناته ويقوض دعائم نظامه ويشخص عيوبه.

إن لغة السجال الكلامي لاثبات الهوية لم تقف عند حسان بل تعدتها إلى شاعر مخضرم اخر هو (عبدالله بن رواحة) الذي كان سيدا في قومه في الجاهلية، شهد جميع الحروب الإسلامية بعد هجرة الرسول(ﷺ) وكان مؤمنا خالص الايمان، فكان مقربا من الرسول الكريم، امتاز شعره بالسهولة وشيوع المعاني الدينية فيه، الا انه قليل[٣٨]، فيقول[٣٩]:

وفينـــا رســـولُ الله يتلـــو كتابـــه إذا انشـقَّ معـروفٌ مـن الصّـبح سـاطعُ

أرانـــا الهـــدى بعـــد العمـــى فقلوبنـــا بـــه موقنـــات ان مـــا قـــال واقـــعُ

يبيـــت يجـــافي جنبـــه عـــن فراشـــه إذا اســـتثقلت بالكـــافرين المضـــاجعُ

وأعلـــم علمـــاً لـــيس بـــالظنّ أننـــي إلـــى الله محشـــور هنـــاك وراجـــعُ

نهض النص على فكرة المقارنة بين الثنائيات المتضادة في (الهدى، العمى، يجافي، استثقلت، اعلم علماً، ليس بالظن) وهي انساق اسمية تتداخل مع الأفعال في سياق حركي قريب، يعتمد – في اظهار احداثه وتحولاته الزمانية في فضاء الواقع والنص– على عدة مستويات تتوالد من بعضها، لتنفتح على بعضها الاخر لتشارك جميعاً في رسم حزمة متداخلة من الصور الموزعة عل لوحة المشهد الواقعي والشعري. تأكيداً للهوية الدينية الإسلامية من خلال الفعل (اعلم) المؤكدة بمصدره (علماً) المناقض للظن. فضلاً عن ذلك يتميز النص بشفافيته في نقل صورة النبي الأعظم وتشكيل ابعادها الدينية عبر الدوال التي

تتحرك باتجاهات مختلفة لاستثمار طاقة الكلمة الموحية واللغة التصويرية لذات النبي الكريم الحاضرة في الصورة (صفات وخلق وسلوك) والصوت (قرآناً وسنة شريفة).

آمن الشاعر بالمرحلة الانتقالية الجديدة، وتعاليم الإسلام، ومشكلات الحياة المصيرية عبر رؤى وأفكار كانت "في النهاية مسارات ذات رؤية في النصوص الشعرية. وقد تحولت الصفة الشعرية إلى رؤى تحمل في طياتها الإحساس الإنساني بكل ما له صلة به[٤٠]" . وفي انتقالة إلى نص اخر لعبدالله بن رواحة نراه يرسم لوحة فنية أخرى في حب الدين والرسول الأعظم يقول فيها[٤١]:

هـــل أنـــتَ الا أصـــبعٌ دميـــتِ

وفـــي ســـبيل الله مـــا لقيـــتِ

يـــا نفـــس الا تقتلـــي تمـــوتي

هـــذا حمـــام المـــوت قـــد صـــليتِ

ان تســـملي اليـــوم فلـــن تفـــوتي

أو تبتلـــي فطالمـــا عُوفيـــتِ

ومـــا تمنيـــت فقـــد أعطيـــتِ

ان تفعلـــي فعلهمـــا هُـــديتِ

وإن تـــأخَّرت فقـــد شُـــقيتِ

يعبر الشاعر عن صيغة الذات من منظوره صورة الجزء (الاصبع) الذي يمثل الكل (الشاعر) ، فهو يسجل بشكل تام السلوكيات النفسية والاجتماعية الذاتية المتفاعلة مع الاخر في مرحلة تواصلية تتجدد فيها الأنا في فضاء "يتطلب موازنة مرنة بين الطاقة النفسية في الانا والطاقة المستخدمة في العلاقات بالموضوعات"[٤٢] المختلفة في ابعادها كافة والتي تضمن تواصلها وخلودها المعنوي، كما تضمن تجدد هويتها التي تثبت وجودها باتفاقها واختلافها مع هويات الاخرين ويسهم تأثير الفعل اللوني (دميت) بالدرجة الأولى في إضفاء قدرات جديدة من الاثارة الشعرية، على الرغم من ان الشاعر لم يصرح باللون بل اكتفى بالإشارة اليه بالفعل الدال عليه، إذ ان قوة الصورة الشعرية كما يقول سي–دي لويس "تكمن في اثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية"[٤٣].

فضلاً عن نقل المتلقي إلى ساحات الوغى وما تثيره الحرب من مخاوف (الموت) في صورة مجازية تعبيرية، ثم يورد افكاراً إسلامية عقيدية بأن لا سبيل للإنسان في النهاية الا الموت. وقد عمد الشاعر إلى ان يخاطب نفسه جاعلاً من الابداع الشعري لوحة تصويرة ، لذا استخدم الشاعر أسلوب من أساليب التجريد في المفهوم البلاغي ذلك ان "يجعل الانسان من نفسه شخصاً اخر يخاطبه"[٤٤] وهو ما يعرف حديثاً بالحوار الداخلي والذي "يمثل التقاء الشخصية مع ذاتها عبر وسائل الكشف والتنفيس عن المخزون الداخلي فيؤدي هذا النوع وظيفة مهمة من وظائفه وهي وظيفة الاستبطان الداخلي للشخصية واستكناه السمات الخفية والعميقة فيها"[٤٥]. كل ذلك يقدمه الشاعر عبر موقفه الحواري الذي يبني مشاهده مع ذاته منتجاً نصاً ابداعياً واعياً لكل احداثيات الواقع.

وتتعمق شعرية المغايرة عن الاخر (الكافر) والتواصل مع الذات المؤمنة بالحق، في شعر (كعب بن مالك) الذي لا يختلف في توجهاته وافكاره عن الشاعرين السابقين، بل نراه في اتفاق تام مع الهوية العقائدية الجديدة. كانت اول صلة لكعب بالإسلام في يوم العقبة الثانية، إذ وفد مع السبعين من اهل المدينة على الرسول الأعظم، وكان حسن الإسلام مؤمناً فارساً ، شارك في اكثر الحروب الإسلامية، وظل يناضل بسيفه ولسانه في سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة الإسلام، فيقول[٤٦]:

لقد علم الأحزابُ حين تألبّوا علينا وراموا ديننا ما نوادعِ

أضاميم من قيس بن عيلان اصفقت وخندف لم يدروا بما هُو واقعِ

يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكُفر والرحمن راءٍ وسامعِ

إذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصرٌ من الله واسعِ

وذلك حفظ الله فينا وفضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائعِ

هدانا لدين الحقِّ واختاره لنا ولله فوق الصانعين صنائعِ

في كل بيت من هذه الابيات تسعى الذات الشعرية إلى اكمال خطوط وتشكيلات الهوية المغارة للواقع المنقلب في الأفكار والدين والنظام (لم يدروا بما هو واقع) أي حلت الكارثة بهم وبعالمهم وسلطتهم، عندما صادر الدين الإسلامي وتعاليمه السمحة إيقاع الكفر والقبلية والسيد والعبد، واستبدلها بايقاع الزمن الحر المستمر في متغيرات تجاه الأرض والانسان والواقع. وهذا (فضل الله) على المسلمين (وهدايته) لهم. فتكامل الحدث الرئيس بكل

لقطاته ومشاهده في بناء شعري سردي دائري ينتهي عند النقطة التي بدأ منها (الحق، التغيير) مما يعزز تكامل الهوية لدى الشاعر لأنها "تمتلك ديناميتها الداخلية ، وتسعى الى تأكيد وجودها وتحقيق ذاتها، وفقاً للكيفيات التي يسمح بها الوسط المحيط"(٤٧).

ويقول ايضاً(٤٨):

ألا أيُّهـــذا الســـائلي عـــن عشـــيرتي هلـــمَّ إلـــى أهـــل المكـــارم والفخـــرِ

أنـا ابـن مبـاري الـريّح عمـرو بـن عـامرٍ نمـوت إلـى قحطـان فـي سـالف الـدهرِ

نصـــرنا رســـول الله إذ حـــلَّ وســـطنا بـــيض اليمـــاني المثقفـــة السُّـــمرِ

هذا هو الراهن الزمني الحاضر والمستقبلي يتحول من الداخل القبلي سلوكياته في مؤسسته السلطوية ، إلى الداخل والخارج الدستوري القائم على بناء قواعد الامة العربية الإسلامية مع رفض أي ارتباط مرتد بالمرجعية الجاهلية في زمنها الذاكراتي في ماضي الكفر والثبات العرفي والمنظوماتي في كل مقوماته ومرجعياته.

فقول الشاعر (نصرنا رسول الله) يؤكد طبيعة التواصل المفارقة للانفصال، والتي تنتمي بكل ايقاعاتها إلى الزمن الحاضر والواقع المستقبلي، والاحداث الماثلة في العالم الراهن مستقبلاً. وفي نهاية المطاف نقول ان كل نص– سواء كان قبلياً في ايديولوجيته ام اسلامياً بكل شرائعه ومبادئه– في القصيدة العربية البؤرة (جاهلية ، إسلامية) مثّل تجربة إنسانية عامة وخاصة عانت الوجع الشعري بمستوياته المختلفة ضمن سياقاته وانساقه المتعددة، فكان كل نص عالم خاص بذاته مثل مرحلة متضادة مع الأخرى على الرغم من كون كل شاعر ينتمي لعصر شعري واحد، لكن التوجهات والقناعات كانت هي الفيصل في القضية.

الخاتمـــة

بعد هذه الرحلة في رحاب الشعر في عصر صدر الإسلام لاستبيان مواطن تأكيد الذات الشاعرة على الهوية الإسلامية ، واستخدم هذه الهوية في مواجهة الاخر (غير المسلمين). لابد من الوقوف على بعض النقاط التي يمكننا ان نلاحظها على خطاب شعراء صدر الإسلام وهي:

١- لم يكن شعر عصر الإسلام شعراً معزولاً عن شعر العصر الجاهلي بل ان خصائص الجاهلية ومثلها وطرائق الفن بقيت مستمرة في هذا العصر.

٢- يتميز شعر صدر الإسلام بعامته بالايجار، وقوة التعبير، ورقة الالفاظ، ووضوح المعاني.

٣- يتميز هذا العصر بظهور فئتين من الشعراء الفئة الأولى فئة الشعراء الذين تميزوا بعدم تأثرهم بالدين الجديد، فنراهم يسيرون في خطابهم الشعري على النهج الجاهلي من حيث الشكل والمضمون، ولا يمكننا ان نلاحظ اثر الدين الجديد على هذا الخطاب، فبقوا محتفظين بهويتهم العربية قبل الإسلام على الرغم من اسلامهم. والفئة الثانية هي فئة الشعراء الذين تأثروا بالإسلام واثر فيهم، فنرى واضحاً في خطابهم الشعري شكلاً ومضموناً ، فنلاحظ بذلك تبدل هويتهم إلى الهوية الإسلامية والانتماء للامة الإسلامية.

٤- تميز شعر شعراء عصر الإسلام المتأثرين بالدين الجديد بتعبيره عن احداث العصر، فكاد ان يكون وثيقة تاريخية لتوثيق الاحداث والحروب والمعارك.

الهوامش

---

(١) التاريخ والهوية (اشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر)، اسماعيل نوي الربيعي، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٢: ١٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠.

(٣) افاق اللغة والهوية، عباس الطائي، (نت) www.ahwazsrudis.org .

(٤) ينظر: الهوية الثقافية للمغرب، عباس الجراري، كتاب العلم، ط١، ١٩٨٨: ٢٢.

(٥) ينظر: افاق اللغة والهوية ، نت.

(٦) ينظر: الهوية ، اليكس ميكشيللي، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم، ط١، ١٩٩٣: ١٠٩.

(٧) ينظر: حول مفهوم الهوية ومكوناتها الاساسية، ابراهيم القادري بوتشيش، نت.

(٨) معجم الانا، احمد حيدر، مجلة المعرفة السورية، ع٤٩٦، ٢٠٠٥: ٧٥.

(٩) صورة الاخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ط١، بيروت–لبنان، ١٩٩٩: ٢٢.

(١٠) ثقافة الصورة الرصيد المعرفي المشترك... واشكالية الهوية، حسين معلوم، مجلة البحرين الثقافية، ع٣٨، ٢٠٠٤، ٨١.

(١١) التاريخ والهوية (اشكالية الوعي بالخطاب التاريخي المعاصر)، اسماعيل نوري الربيعي: ٧٣.

(١٢) ينظر: الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٣٢٨هـ: ٣٥٦/١. وينظر : الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار صادر، بيروت، ١٩٠٤: ٢٣٠-٢٣٣.

(١٣) ديوان حميد بن ور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني، دار الكتب المصرية، ١٩٥١: ١٢١.

(١٤) تطلوا : تهدروا. يقال طل دمه يطله، واطلله الله.

(١٥) سوينا القبور: جعلناها سواء، أي مشينا اليكم فقتلنا بقدر ما قتلتم منا.

(١٦) الوتر: الظلم في الذهل، والذهل: الثأر.

(١٧) ديوان حميد بن ثور: ١٣٣.

(١٨) ينظر : مالك ومتمم ابنا نويرة، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٦٨: ٢٠-٢١.

(١٩) المصدر نفسه: ٣٠.

(٢٠) المصدر نفسه: ١٣٤

(٢١) نكى الدو: نكاية: قتل، السراه: سادة القوم، غشوم: ظالم.

(٢٢) النحيم: البكاء والنحب.

(٢٣) ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء، موسى ربابعة، مجلة دراسات الاردن، مج٢٢، ع٥، ١٩٩٥: ٢٠٣.

(٢٤) مالك ومتمم ابنا نويرة، ابتسام الصفار: ١٠٦-١٠٧.

(٢٥) الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، كمال ابو ديب، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦: ٤١١.

(٢٦) ينظر: ديوان تميم بن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢: ٩.

(٢٧) ديوان تميم بن مقبل، تحقيق: عزة حسن، دمشق، ١٩٦٢: ١١

(٢٨) المقنب: جماعة من الخيل والفرسان.

(٢٩) النفير: القوم الذين ينفرون الى القتال.

(٣٠) جذمهم: أي اصلهم، الاصلال، السيوف القاطعة، تعرى : تسل من جفونها، تخشب: تصفل.

(٣١) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، بيروت-لبنان، ط٤، ١٩٨٥: ١٤٩.

(٣٢) الاغتراب الاجتماعي في شعر صدر الاسلام، حسن صالح سلطان، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٠: ١٢٦.

(٣٣) عزف على وتر النص الشعري (دراسة في تحليل النصوص الادبية الشعرية)، عمر الطالب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠: ١٩٤.

(٣٤) الاغاني، ابو فرج الاصفهاني، دار احياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ب.ت: ١٣٦/٤. وينظر: شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه، يحيى الجبوري ، مكتبة النهضة، مطبعة الارشاد، ط١، ١٩٦٤: ٦٤.

(٣٥) ديوان حسان بن ثابت الانصاري، تحقيق: عبدالرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر: ١٥٠.

(٣٦) دراسة في لغة الشعر (رؤية نقدية) ، رجاء عيد، مطبعة اطلس، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٧٩: ٤٢.

(٣٧) ديوان حسان بن ثابت ، عبدالرحمن البرقوقي: ١٤٠–١٤١.

(٣٨) ينظر: شعر المخضرمين واثر الاسلام فيه، يحيى الجبوري: ٨٥–٨٨.

(٣٩) ديوان عبدالله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، وليد قصاب، دار الضياء، عمان، ط٢، ١٩٨٨: ١٦٢.

(٤٠) وحدة المعنى والصورة والنغم ونماذج من الشعر القديم ، عيسى قويدر العبادي، مجلة جامعة دمشق، مج٢١، ، ع٣–٤، ٢٠٠٥، ٧٢.

(٤١) ديوانه: ١٥٤.

(٤٢) التحليل النفسي والسلوك الجماعي (دراسة في سيكولوجية الجماعات من وجهة نظر التحليل النفسي)، سول شيدلنجر، ترجمة: سامي محمود علي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٧٠: ٦٠–٦١.

(٤٣) الصورة الشعرية ، سي– دي لويس، ترجمة: د.احمد نصيف الجنابي واخرون، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢: ٤٤.

(٤٤) الايضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني ، تحقيق عبدالحميد هنداوي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٤: ٣٥٨.

(٤٥) مرايا السرد وجماليات الخطاب القصصي، د. محمد صابر عبيد ود.سوسن البياتي: ٤٦ نقلاً عن فضاء الكون الشعري من التشكيل الى التدليل ، د.محمد صابر عبيد، دار نينوى للنشر والتوزيع، سورية–دمشق، ٢٠١٠: ١١٦.

(٤٦) ديوان كعب بن مالك الانصاري دراسة وتحقيق، سامي مكي العاني، مكتبة النهضة ، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦: ٢٣٠.

(٤٧) الهوية ، اليكس ميكشيللي: ١٣٠.

(٤٨) ديوان كعب بن مال: ٢١٥.

The poetic identity between Pre - Islamic era and Islam The veterans as a sample

Asst.Prof. Shaima Idris Al Daoud **Dr. Fennen Nadeem Daham Al Ablish**

University of Mosul / College of Education for Human Sciences

Abstract

Identity usually means body of characteristics, which distinguish the existence of a person or a group. There is no doubt that the concept of identity has become stems from the principle of human discrimination whether if he was an individual has emotions or de~ with the other, or if they were group consistent or compatible in some elements as marks of identity such as time, place, conscience, thought or culture. Since identity is something which is aware and built gradually, it should be a distinction between identities which the individual belongs from time to time due to. intellectual and doctrinal developments that occur on human which turned his identity to a new identity as a result of its commitment to these developments, or to be away from these developments , so he adheres his origin identity .

It is indisputable that literature affected by these developments and intellectual changes, and this is what this search will display. There are two trends in the poetry of the era of early Islam, the first trend : the poetry of poets who melted in the new identity (Islamic identity) and they expressed it in their poems. Second trend: the poetry of poets who converted to Islam but they were not sincere to Islam, so they did not show its effect in their poetry, but remained Jahli poems in thought, language and expression.